٤٢

مدرسة دار الحكمة للعلوم الإسلامية

مركز دار التنمية والدراسات الإسلامية

محاضرة مكتوبة

دور الشباب في عصر الغيبة

سماحة
الشيخ جون العتابي
-٢٠٢٤-

دور الشباب في عصر الغيبة

تعريف البحث:

يقدّم هذا التقرير خلاصةً منظمة لمضامين محاضرة الشيخ جون العتابي في مركز مدرك للتنمية والدراسات الإسلامية التابع لمؤسسة دار الحكمة في النجف الاشرف بعنوان «دور الشباب في عصر الغيبة»، تناولت مفهوم عصر الغيبة بوصفه مرحلةً تاريخيةً وعقائديةً ممتدة من الغيبة الصغرى إلى الغيبة الكبرى، مع بيان معنى النيابة الخاصة ثم النيابة العامة، وما يترتب على ذلك من استمرار القيادة والتكليف وعدم تعطّل الشريعة في زمن الغيبة.

كما ركّزت المحاضرة على مسؤوليات المؤمنين – ولا سيما الشباب – في هذا العصر، عبر محاور خمسة مترابطة: المعرفة بالإمام وقضية الغيبة على أساس علمي وتعبدي، والإعداد والتحضير بوصفه جوهر الانتظار الإيجابي عبر تزكية النفس والعمل والتغيير، والطاعة للقيادة النائبة المتمثلة بالفقهاء العدول، والدعاء للفرج بوصفه من أسباب التعجيل، ثم الثبات على مواثيق الولاية ومظاهرها العملية في السلوك والموقف. ويختم التقرير بإبراز الفكرة الجامعة للمحاضرة: أن بناء الفرد الواعي (معرفةً) وصناعة الاستعداد العملي (إعدادًا) هما ركيزتا الدور الحقيقي في زمن الغيبة.

دور الشباب في عصر الغيبة

محاضرتنا هذه الأمسية المباركة بعنوان "دور الشباب في عصر الغيبة". طبعًا، هذا الدور ليس للشباب فقط، لكن توجد خصوصية لقضية الشباب في عصر الغيبة.

المقدمة

كي أُقدم للمحاضرة: عصر الغيبة هو عصر اختفاء الإمام (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، الإمام الثاني عشر، الإمام محمد بن الإمام الحسن العسكري عليهم أفضل الصلاة والسلام. غيبته عن الأنظار (وعندما أقول الأنظار، مقصودة، وإلا هو حاضر لم يغب). وهذه الغيبة (أي هذا العصر) ينشطر إلى شطرين: شطر الغيبة ما يسمى بالغيبة الصغرى، التي امتدت بعد وفاة الإمام الحسن العسكري (٢٦٠ هجرية) لمدة ٧٠ سنة إلى عام ٣٢٩ هجرية. هذه السبعون سنة، نُسميها بالغيبة الصغرى. الإمام أوكل وأناب عنه أربعة نواب، كانوا يتكلمون ويوقعون ويرون الإمام. وبعد وفاة النائب الرابع، ابتدأت الغيبة الكبرى إلى يومنا هذا.

النواب هم: أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري (هذا الذي على رأي المؤرخ جواد علي توفي عام ٢٨٠ هجرية)، أي كانت نيابته من ٢٦٠ (بداية الغيبة الصغرى) إلى ٢٨٠ هجرية. يأتي بعده ابنه محمد بن عثمان بن سعيد العمري، وهذا توفي سنة ٣٠٥ هجرية. بعده يأتي أبو القاسم الحسين بن روح النوُبَختي الذي توفي عام ٣٢٦ هجرية. ثم آخر النواب الأربعة (رضوان الله تعالى عليهم) هو أبو الحسن علي بن محمد السمَري، نيابته بحدود ثلاث سنوات. هذا توفي عام ٣٢٩ هجرية، وحين وفاته ابتدأت الغيبة الكبرى.

الشطر الثاني هي الغيبة الكبرى: في الغيبة الكبرى، تحولت نيابة الإمام من نيابة خاصة (لأربعة نواب)، ثم ابتدأت الغيبة الكبرى بالنيابة العامة. النيابة العامة هم مراجع

الطائفة إلى يومنا هذا، كل مرجع له مرجعيته. هذه المرجعية هي النيابة العامة، وأمر قيادة الأمة لهؤلاء المراجع المتصدين للقيادة. وبناءً على قول الإمام نفسه: ((وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله))[1].

مسؤولياتنا وواجباتنا في عصر الغيبة

في هذه المحاضرة، نحن نتكلم عن مسؤولياتنا وواجباتنا في عصر الغيبة، شباب وشيوخ، لكن توجد خصوصية للشباب سنمر عليها في أثناء المحاضرة. أول شيء يجب علينا أن نتساءل: هل أن غياب الإمام (عليه السلام) واختفاءه، بمعنى غياب القيادة وغياب الطاعة وغياب التعليمات؟ هل يترتب على غياب الإمام أنه لا قيادة ولا طاعة ولا تعليمات لهذه الأمة؟ كلا، الأمر هو أن هناك قيادة وهناك تعليمات وهناك طاعة.

في الواقع، هذا سؤال مهم. الجواب على هذا السؤال لمن يعرف الطبيعة القيادية لهذا الدين. (فأي شخص خارج إطار التدين لا يؤمن بهذه القضية أصلاً). لكن نتكلم نحن في إطار التدين، ونتأمل قوله تعالى في سورة الشعراء التي دائمًا تتكرر: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[2].

هذا الخطاب جاء على لسان نوح، وجاء على لسان هود، وجاءت هذه الآية على لسان أكثر من نبي. كلمتا التقوى والطاعة هما خطاب الأنبياء. التقوى هي علاقة الإنسان بالله سبحانه وتعالى، أما الطاعة فعلاقة الإنسان بالأنبياء والأوصياء.

[1] - وسائل الشيعة، الشيخ حرّ العاملي: ١٨ / ١٠١.
[2] - [الشعراء: ١٤٤]

نحن نقول بعد مجيء النبي (صلوات الله وسلامه عليه) إلى المدينة، الناس أقروا له بالطاعة وبالولاية العامة والطاعة في السلم والحرب، وتقبل المسلمون هذا الأمر. نشأت دولة وقيادة وغير ذلك. بعد النبي (صلوات الله وسلامه عليه)، هل توقفت حياة الأمة؟ هل توقفت الطاعة عند الناس؟ هل توقف الإيمان أم استمر؟ طبعًا، استمر.

هذه السيادة والحاكمية، التي هي الولاية لله ولرسوله، بقيت مستمرة حتى بعد وفاة النبي (صلوات الله وسلامه عليه) والتحاقه بالرفيق الأعلى. استمرت على يد من جاءوا بعد النبي، بغض النظر عن أحقية من جاء بعد النبي. فلا يمكن تعطيل الحدود ولا يمكن تعطيل الشريعة على أي حال من الأحوال. هنا في هذه الفترة حدث الانقلاب. القرآن يؤكد هذا: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[٣] في هذه الآية الكريمة، يوجد إخبار عن انقلاب حدث بعد النبي (صلوات الله وسلامه عليه). وهذا إخبار عن قضية مؤلمة، وهو الانقلاب والرجوع الذي حدث في الأمة والنكوص عن شرعة محمد (صلوات الله وسلامه عليه). ويوجد هناك إخبار بأمل: ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾. فالشريعة باقية، والدين باق، والعقيدة باقية، والولاية باقية، وإن تصدى فلان وفلان وغيروا ما غيروا من وصايا النبي، وزحزحوا الإمام أمير المؤمنين عن تلك المرتبة التي رتبه الله تعالى بها. هذه هي فحوى الانقلاب واقعًا.

الله ورسوله لم يتركا هذه الأمة هَمَلاً بعد رحيل النبي (صلوات الله وسلامه عليه). قبل رحيله، أثبت النبي (صلوات الله وسلامه عليه) الأمور وثبت في الغدير ما أراده الله.

[٣] - [آل عمران: ١٤٤].

أراد الله تعالى لأهل البيت أن يكونوا هم أهل ولاية الأمة والسلطة والخلافة، والولاية التي هي لله تعالى أولاً ولرسوله. هذه القضية اختلف فيها الناس، فانقسموا إلى قسمين:

١. قسم هم أهل النص: الذين ثبتوا على نص القرآن والسنة النبوية في الغدير ((من كنت مولاه فهذا علي مولاه))[٤].

٢. قسم آخر: قالوا بالرأي، أي "نحن نرتئي" مُقابل قول الله ومُقابل سنة النبي. وكان لهم شعار معروف: "حسبنا كتاب الله".

هنا ابتدأ الشرخ الكبير في الأمة. نحن نعتقد بأن أهل الولاية هم أهل بيت العصمة من بعد النبي، من الإمام أمير المؤمنين حتى الإمام عجل الله فرجه الشريف. كلامنا في هذه المحاضرة منحصر في قضية الغيبة والدور في الغيبة. عصر الغيبة هو اختفاء الإمام (عليه السلام) لأسباب يعلمها الله تعالى. ليس معنى أن غياب الإمام عن الأنظار وعن الظهور هو غياب القيادة والطاعة. كلا، هذه القيادة والطاعة بقيت موجودة، وإن هذا الخط تقلص نوعًا ما واستدق نوعًا ما. الشريحة الأكبر اتجهت مع القول بالرأي، وهو الجمهور الأكبر. لكن الذي ثبت على النص بقي على هذا النص. وبفضل الله سبحانه وتعالى، انظر اليوم مدرسة أهل البيت ومدرسة النص مقابل المدرسة الأخرى: تنمو وتكبر وتتسع في دوائر متعددة في هذا العالم. اليوم خُمس العالم الإسلامي وأكثرهم من أتباع أهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم) أجمعين. فبقي هذا الخط مرسومًا في خلافة أهل البيت والطاعة لهم.

[٤] - عن ابن عباس، قال: نزلت الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ...﴾ في علي حيث أمر الله سبحانه أن يخبر الناس بولايته، فتخوّف رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يقولوا حابى ابن عمه وأن يطعنوا في ذلك عليه، فأوحى الله تعالى إليه، فقام بولايته يوم غدير خم، وأخذ بيده، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ((من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم والِ من والاه و عادِ من عاداه)). روح المعاني: ٤ / ٢٨٢.

وبعد عصر الغيبة استمر هذا في الغيبة الصغرى (للأربعة من النواب)، وبعد ذلك استمرت النيابة العامة، وهم الفقهاء العدول الذي تكلم الإمام بشأنهم.

ما هي ظواهر هذا الاتباع؟ ظواهره واضحة في التقليد، واضحة في الطاعة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي الطاعة للفقهاء. وخير دليل على ذلك (ودليل رأيناه وعاصرناه بالأمس) هو هذا الانصياع والطاعة لفتوى الجهاد الكفائي التي أعلنها وأفتى بها مرجع هذه الطائفة.

قد يسأل سائل: كيف عاشت الأمة هذه الفترة الطويلة؟ وكيف حافظت هذه الطائفة (أصحاب النص) على جوهر هذه الشريعة وهي شريعة محمد ومذهب آل محمد؟

أذكركم بـ حادثة لطيفة جدًا. كان الإمام الباقر (عليه السلام) جالسًا في مكان معين. الإمام الباقر (عليه السلام) عاش في فترتين، في الفترة الأخيرة من حياة الدولة الأموية عاشها الإمام. ثم صار هناك انفراج بسبب ضعف الدولة الأموية. الإمام الباقر والإمام الصادق من بعده اجتهدوا على هذا المذهب، فأخرجوه بشكل متسع، وأسسوا الجامعات الدينية والمدارس وربوا العلماء، وانتشر المذهب علميًا.

الإمام الباقر يجتمع ببعض خواصه (منهم زرارة وغير زرارة). كان يقول: أتعلمون أنه يأتي زمان على إخوانكم من أتباع آل محمد وإمامهم ليس فيهم[٥]؟ يتأذى أولئك الناس. إلى

[٥] - قال جابر: قال الباقر (عليه السلام): يأتي على الناس زمان يغيب عنهم إمامهم، فيا طوبى للثابتين على أمرنا في ذلك الزمان، إنّ أدنى ما يكون لهم من الثواب أن يناديهم الباري عزّ وجل: عبادي، آمنتم بسرّي، وصدّقتم بغيبي، فأبشروا بحسن الثواب منّي، فأنتم عبادي وإمائي حقّاً، منكم أتقبّل، وعنكم أعفو، ولكم أغفر، وبكم أسقي عبادي الغيث، وأدفع عنهم البلاء، ولولاكم لأنزلت عليهم عذابي. قال جابر: فقلت: يا بن رسول الله، فما أفضل ما يستعمله المؤمن في ذلك الزمان؟ قال (عليه السلام): حفظ اللسان ولزوم البيت. بحار الأنوار: ٥٢ /١٤٥. وعن عبد الله بن سنان قال:

من يلجؤون؟ هذا الدين، من يقوم شـــأنه؟ لمن تلتجئ هذه الناس في أمور دينها وفي المعضـلات؟ فقال: اعلموا أن أمر هذا الدين (يقصـد شرعة محمد الحقيقية) كمثل عمود الضوء هذا النازل.

هذه القصة سمعتها من لسان أستاذنا المرجع السيد محمد سعيد الحكيم (رضوان الله تعالى عليه وقدس سره الشريف). قال: كانوا يجلسون في مكان ضيق، ومن أعلى المكان تكون هناك نافذة (رازونة)، تنفتح على جهات أربع حتى يدخل الضـوء والهواء. ينزل عمود ضوء مستدق رفيع من الأعلى إلى الأسفل. فقال: "اعلموا أن شأن دينكم وطائفتكم كشأن هذا الضـوء، وإن اسـتدق، وإن كان ضـعيفًا، لكن هو أوضـح شيء في هذا الوسـط المظلم، فأنتم لا تخشـون على هذا الدين". دين محمد وآل محمد لا بد أن يظهر على الدين كله ولو كره المشركون.

تكاليف المؤمنين في عصر الغيبة

لندخل اليوم في صـلب المحاضرة: ما هي تكاليف المؤمنين ومسـؤولياتهم في عصر الغيبة؟ سأقتصر على أمور معينة:

١. المعرفة.
٢. الإعداد والتحضير.
٣. الدعاء للإمام (عجل الله تعالى فرجه الشريف) ولنا بالفرج بظهوره.
٤. الطاعة للقيادة النائبة.
٥. الثبات على مواثيق الولاية.

قال الصادق (عليه السلام): ستصيبكم شبهة فتبقون بلا علم يرى ولا إمام هدىً، لا ينجو منها إلّا من دعا بدعاء الغريق، قلت: وكيف دعاء الغريق؟ قال (عليه السلام): تقول: يا الله، يا رحمن، يا رحيم، يا مقلّب القلوب، ثبّت قلبي على دينك، فقلت: يا مقلّب القلوب والأبصار، ثبّت قلبي على دينك، فقال (عليه السلام): إنّ الله عزّ وجلّ مقلّب القلوب والأبصار، ولكن قل كما أقول: يا مقلّب القلوب، ثبّت قلبي على دينك. بحار الأنوار: ١٤٩/٥٢.

أولاً: المعرفة

المعرفة أمر أســـاسي في هذه المرحلة. لكي أعرف الإمام (من هو الإمام؟) لا بد أن تكون عندي معرفة ولو إجمالية بقضـــية الإمام وغيبته. الإمام عجل الله تعالى فرجه هو حجة الله على عباده، فلا بد للمؤمن من معرفة هذه الحجة القائمة على أســـس علمية متينة ومحكمة، وبقناعة تامة راسخة بحياة الإمام وغيبته.

هذه المعرفة لا بد أن تقوم على أسـس تعبدية في معظم أجزائها، وأخرى قائمة على التحليل. أقول: المعرفة على نوعين: النوع الأول معرفة تحليلية عقلية، والنوع الثاني معرفة تعبدية.

مثال التحليل العلمي: عندما نأتي إلى حرمة الخمر. الخمر حُرِّم لأنه مُذهِبٌ للعقل والوعي. الله تعالى حرم الخمر لأنه يخرجه من آدميته وعقلانيته. كذلك قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْـــتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَـــبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[٦] هذا الإعداد يُرهب الأعداء، فقد تم تحليل النص علميًا.

مثال الجانب التعبدي: صـــلاة الصـــبح ركعتان والمغرب ثلاث ركعات. هذا لا نستطيع أن نحلله ونستنتج، فهي قضية تعبدية. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ

[٦] - [الأنفال: ٦٠].

قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[٧]. ما هي علاقة التقوى بالرزق؟ هذه قضـــية تعبدية غير خاضعة للتعليل والتبرير.

الغيبة والظهور تأتي في أي النحوين؟ لماذا غاب الإمام هذه الفترة؟ وكيف يعيش؟ هذه أشياء تسأل عنها، لكن لن تجد أحدًا يدعي الجواب والعلم بها. فقضية الظهور والغيبة من المسائل التعبدية؛ لأنها داخلة في معاجز وجود الإمام، وعمره الطويل معجزة.

أما محاولة إخضـــاع قضـــية الغيبة والظهور للتحليل العلمي، فلن تؤدي إلى نتائج ملموسة وطيبة، بل تسبب إرباكًا حقيقيًا لنفوس المؤمنين.

قضـــية الظهور متفق عليها لا إشـــكال فيها عند فرق المســـلمين جميعًا. مصـــادر الحديث والروايات عند الفريقين تؤكد أن في آخر الزمان يخرج إمام من ولد فاطمة حصرًا، من ذرية الإمام الحســين (عليه الســلام). والنبي قال: ((من مات ولم يعرف إمام زمانه فقد مات ميتة جاهلية))[٨]. لا بد من معرفة الإمام، وإلا متنا ميتة جاهلية. ولذلك في الدعاء: ((اللهم عرفني نفسك، فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك. اللهم عرفني نبيك، فإنك إن لم تعرفني نبيك لم أعرف حجتك. اللهم عرفني حجتك، فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت في ديني))[٩]. إذاً، المعرفة مهمة، وواجبنا أن نعرف الإمام.

[٧] -]الطلاق: ٢-٣].
[٨] - صحيح مسلم ٣: ١٤٧٨/ كتاب الامارة.
[٩] - الكافي، ج١، ص: ٣٤٢.

ثانيًا: الإعداد والتحضير لظهور الإمام

هذه قضية مهمة، وهي كما يُقال، لُبّ المحاضرة. الانتظار بهذا المعنى هو التحضير والإعداد لظهور الإمام (عجل الله تعالى فرجه الشريف). الانتظار ليس فقط انتظار وقت يمر (حتى تصير الصلاة أو حتى يأتي رمضان).

ظهور الإمام حدث كوني أيها الإخوة، بل هو الحدث الكوني الأكبر، أي عالمي، ليس محليًا. وسيكون أثره في المساحات الاجتماعية: في دائرة السياسة، الاقتصاد، الثقافة، الدائرة العسكرية، والدائرة الحضارية. ((يملأ الأرض قسطًا وعدلاً))[١٠].

من شروط هذا الحدث الأكبر أن يكون الإنسان في حالة استعداد. وهذه حالة الاستعداد يُعبر عنها القرآن بسنة قرآنية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾[١١]

ومن أولويات الانتظار والتحضير أن نغير أنفسنا. هذا الحدث الكوني لا يحدث ولا يتم إلا إذا تغير الناس إلى الأفضل، واستعدوا لاستقبال زمن الظهور الموعود.

ما هي مصاديق هذا التغيير؟

---

[١٠] - عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أنّه قال: ((أُبَشِّرُكُمْ بِالمَهْدِيِّ يُبْعَثُ فِي أُمَّتِي عَلَى اخْتِلافٍ مِن النّاسِ وَزَلازِلَ، فَيَمْلَأُ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً، يَرْضى عَنْهُ ساكِنُ السَّماءِ وَساكِنُ الأَرضِ، يَقْسِمُ المَالَ صِحَاحاً، فقالَ لَهُ رَجُلٌ: ما صِحاحاً؟ قالَ: بالسَّوِيَّةِ بَيْنَ النّاسِ، قالَ: وَيَمْلأُ اللهُ قُلُوبَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) غِنىً، وَيَسَعُهُمْ عَدْلُهُ، حَتّى يَأْمُرَ مُنَادِياً فَيُنادِي فَيَقُولُ: مَنْ لَهُ من مالٍ حاجةٌ؟ فَما يَقُومُ مِن النّاسِ إلّا رَجُلٌ، فَيقولُ: ائْتِ السَّدّانَ - يَعني الخازِنَ - فَقُلْ لَهُ: إنَّ المَهْدِيَّ يَأْمُرُكَ أنْ تُعْطِيَني مالاً، فَيَقُولُ لَهُ: أُحْثُ، حَتّى إذا جَعَلَهُ فِي حِجْرِهِ وَأَبْرَزَهُ نَدِمَ، فَيَقُولُ: كُنْتُ أَجْشَعَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ نَفْساً، أَوَ عَجِزَ عَنّي ما وَسِعَهُمْ؟ قالَ: فَيَرُدُّهُ فَلا يُقْبَلُ مِنْهُ، فَيُقالُ لَهُ: إنّا لا نَأْخُذُ شَيْئاً أَعْطَيْنَاه، فَيَكُونُ كَذلِكَ سَبْعَ سِنِينَ أو ثَمانِ سِنِينَ أَوْ تِسْعَ سِنِينَ، ثُمَّ لا خَيْرَ في العَيْشِ بَعْدَهُ، أَو قال: ثُمَّ لا خَيْرَ فِي الحَياةِ بَعْدَهُ)). مسند أحمد: ج٣ ص٣٧ وغيبة الطوسي: ص١٧٨.

[١١] - [الرعد: ١١].

١. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢. الدعوة إلى الله تعالى.

٣. تزكية النفوس.

٤. مكافحة الظالمين، والتشهير بهم، وإسقاطهم.

٥. إشاعة ثقافة الإسلام وثقافة أهل البيت عبر مؤسساته وجامعاته وكثير من الحوزات العلمية.

٦. إعداد الشباب. الشباب هم الفئة الأكبر التي تمثل جهة التنفيذ، وهم أداة التغيير الأكبر والأوسع.

٧. الصبر والمصابرة، وبذل الجهد والعمل.

ثقافة الانتظار تتطلب منا أن نبحث في عوامل الظهور بدلاً من البحث في علامات الظهور (كعلامة الصيحة، الخسف، السفياني، اليماني، الدجال، الحسني). عوامل الظهور هي التي تحتاج إلى قوة عقلية وجسدية وصبر ومصابرة وعزيمة. وهذا ما يُسمى بالانتظار الإيجابي.

الإمام ينتظر منا أن نُفَعِّل عوامل الظهور. يظهر الإمام (عجل الله تعالى فرجه الشريف) ليملأ الأرض قسطًا وعدلاً بعدما مُلئت ظلمًا وجورًا. هناك فئة تنتظر، وإن كانت قليلة. هؤلاء القلة هم الذين يمهدون لظهور الإمام.

الإمام ينتظر منا أن نهيئ عوامل الظهور بماذا؟ بالعمل والكدح والكفاح والجهاد والإنفاق والبذل والتضحية والشهادة.

ثالثًا: الطاعة

ثقافة الطاعة والولاية هي ثقافة عميقة لها وجهان:

١. الوجه الأول (الخط النازل): هو الولاية، أي الخط النازل من الله ورسوله وأولياء الأمر في علاقتهم بالأمة. وهي بمعنى السيادة والحاكمية.

٢. الوجه الثاني (الخط الصاعد): هو الطاعة، أي الخط الصاعد من الأمة إلى ولاة الأمر. الطاعة هي الرد تجاه الولاية.

في عصر الغيبة، لا بد أن نتصف بالطاعة. إمامنا غائب، والشريعة لا يمكن أن تقف، ولم يترك الله ورسوله هذه الشريعة هَمَلاً. فلمن الطاعة إذاً؟ الطاعة للنيابة العامة. أولياء الأمر الذين تُطاع لهم في هذا العصر ـ هم النيابة العامة، مراجع الدين العدول. (أي أن أرجع في أموري إلى مرجع التقليد).

رابعًا: الدعاء

الدعاء للإمام من أسـباب الفرج والظهور القوية والمؤثرة. لا شـك ولا ريب أن الله تعالى يُقَرِّب بالدعاء ظهور الإمام (عجل الله تعالى فرجه الشريف). الله تعالى يقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[١٢].

وعن أمير المؤمنين (عليه السـلام)، يقول: ((الدعاء مفتاح الرحمة))[١٣]. هناك أدعية مهمة تتمحور في الدعاء لفرج الإمام ولظهوره ونصرته. منها ما ورد عن السـيد ابن طاووس في "جمال الأسبوع"، ومنها دعاء الافتتاح الذي نقرؤه في رمضان، وكذلك دعاء: "اللهم كن لوليك الحجة ابن الحسن...". ودعاء العهد الذي نقرؤه كل صباح.

خامسًا: الثبات على مواثيق الولاية

الإمام عجل الله تعالى فرجه هو خاتم الأولياء ومُعِزُّ الأولياء. الولاية عندنا أصـل أصيل في عقيدتنا. عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام) أنهُ قَالَ: ((بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةِ أَشْيَاءَ: عَلَى الصَّلَاةِ، والزَّكَاةِ، والْحَجِّ، والصَّوْمِ، والْوَلَايَةِ)).

قَالَ زُرَارَةُ فَقُلْتُ: وأَيُّ شيء مِنْ ذَلِكَ أَفْضَلُ؟

فَقَالَ: ((الْوَلَايَةُ أَفْضَلُ، لِأَنَّهَا مِفْتَاحُهُنَّ، والْوَالِي هُوَ الدَّلِيلُ عَلَيْهِنَّ))[١٤].

ولاية أمير المؤمنين هي عنوان المؤمن.

---

١٢ - [غافر: ٦٠].
١٣ - بحار الانوار: ٩٣ / ٣٠٠.
١٤ - الكافي: ٢ / ١٨.

ما هي مواثيق الولاية على نحو الإيجاز؟ هي تلك الواجبات المنوطة بالأمة:

١. البراءة: البراءة من أعداء الله تعالى وأعداء رسوله وأعداء أوليائه.

٢. التوافق في السلم والحرب: "سلم لمن سالَمكم، وحرب لمن حاربكم".

٣. النصر والثأر: أن أنتصر لأهل البيت وأنتصر بهم، والثأر لهم.

٤. النصيحة والتعاطف في الحزن والفرح.

٥. الصبر على البأساء والضراء.

هذه هي مظاهر أو مواثيق الولاية.

الخلاصة: إن أدوارنا في عصر الغيبة ترتكز على أساسين متكاملين: المعرفة (الإيمانية والتعبدية) والإعداد (العملي والجهادي)، تمامًا كما يبني النجار جدارًا متينًا (الذي يمثل المعرفة) ثم يجهز الأرض المحيطة به ويزرعها (الذي يمثل الإعداد الإيجابي)، فكلاهما ضروري لاستقبال الدولة الكريمة.

والحمد لله رب العالمين.